المعرفة السياسية الراشدة في ضوء القرآن الكريم
نحو تأصيل لفقه الدولة الإنسانية

Sound Political Knowledge in Light of the Qur'an
Toward a Foundational Framework for the Jurisprudence of the Human-Centered State

م.د.عبدالباسط عياده علي

Lect. Dr. Abdulbasit Iyada Ali

Abdlbasit.eyada@uoanbar.edu.iq

الكلمات المفتاحية: المعرفة السياسية، القرآن الكريم، السياسة الراشدة، فقه الدولة الإنسانية، المقاصد الشرعية، العدل، الشورى، الاخلاق السياسية.

Keywords : Political Knowledge, Qur'an, Ethical Politics, Human-Centered State, Maqasid al-Shariah, Justice, Shura, Political Ethics.

الملخص

يعد القرآن الكريم المصدر الاهم للمعرفة والتوجيه في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ولا شك ان مجال السياسة وبناء الدولة أخذ حيزاً مناسباً من بين هذه المجالات، فقدم لنا القرآن الكريم منظومة قيمية وتشريعية متكاملة تهدف إلى تحقيق العدل وصيانة كرامة الانسان وتنظيم علاقة الحاكم بالمحكوم في ضوء المقاصد الشرعية.

فالقرآن الكريم لا يقدم تصوراً نظرياً للسلطة فحسب، بل يوجه السلطة لتكون أداة لتحقيق الخير للإنسان، ويؤسس لمبدأ الاستخلاف القائم على المسؤولية والرحمة، مما يجعله مرجعاً ومصدراً أساسياً لترشيد الفكر السياسي الانساني المعاصر.

لذا جاءت هذه الدراسة لتسعى إلى استكشاف الأطر المعرفية القرآنية الموجهة لبناء فقه سياسي راشد يُعيد وصل السياسة بالأخلاق، ويؤسس لمفهوم الدولة الإنسانية المستندة إلى مبادئ العدل والحرية والشورى والكرامة. تنطلق الإشكالية من ملاحظة الانفصام القائم بين الفكر السياسي المعاصر والقيم الأخلاقية، مما أدى إلى أزمة في المعرفة السياسية الحديثة، تتجلى في تغليب المصلحة المادية على المصلحة الإنسانية.

ومن الأهداف العلمية للبحث بيان الأسس القرآنية الموجهة للفعل السياسي الراشد، وتحليل المفاهيم السياسية في ضوء المنظور القرآني (كالسلطة، والعدل، والحرية، والشورى)، كما يهدف أيضاً إلى إبراز القيمة المعرفية للقرآن في بناء فقه سياسي إنساني بديل عن النماذج المادية، وأخيراً تقديم إطار نظري لترشيد المعرفة السياسية في العالم الإسلامي والمعاصر.

ومن ثم يطرح البحث تساؤله الرئيس: كيف يسهم المنهج القرآني في بناء معرفة سياسية راشدة تؤصل لفقه الدولة الإنسانية وتوجّه الفعل السياسي نحو مقاصده الأخلاقية؟

ولمعالجة هذه الإشكالية، يعتمد الباحث المنهج التأصيلي التحليلي المقارن؛ إذ يُستقرَأ النص القرآني لاستخراج مفاهيمه السياسية، ويُحلَّله في ضوء المناهج المعرفية الحديثة، مع مقارنة نقدية بين الأسس القرآنية والمقولات المركزية في الفكر السياسي الغربي. كما يستعين البحث بالمقاربة المقاصدية لفهم العلاقة بين الأخلاق والسياسة في ضوء مقاصد الشريعة الكبرى.

وتتوقع الدراسة أن تُسفر نتائجها عن تأصيل رؤية قرآنية متكاملة للمعرفة السياسية، تُبرز مركزية الإنسان كغاية للسلطة، وتُعيد تعريف مفاهيم الدولة، والقيادة، والعدل، والمصلحة في ضوء مقاصد القرآن.

كما ستُسهم النتائج في إثراء الحقل المعرفي الإسلامي بنموذج تفسيري جديد للسياسة يقوم على المسؤولية الأخلاقية والرشاد المعرفي، مما يفتح آفاقًا لتجديد الفكر السياسي الإسلامي وإعادة بنائه على أسس معرفية راشدة تستجيب لتحديات العصر.

Abstract:

Praise be to Allah, and peace and blessings be upon the Messenger of Allah, his family, his companions, and those who follow them.

The Holy Qur'an is regarded as the most significant source of knowledge and guidance across various domains of life, including political, economic, and social spheres. Undoubtedly, the field of politics and state-building occupies a central place among these domains. The Qur'an presents a comprehensive ethical and legislative framework aimed at achieving justice, preserving human dignity, and regulating the relationship between rulers and the ruled in light of the higher objectives of Islamic law (Maqāṣid al-Sharīʿah).

The Qur'an does not merely offer a theoretical conception of authority; rather, it directs power to serve the common good and establishes the principle of stewardship (istikhlāf), grounded in responsibility and compassion. This makes it a fundamental reference for guiding contemporary human political thought.

Accordingly, this study seeks to explore the Qur'anic epistemological foundations for constructing a sound political jurisprudence that reconnects politics with ethics and establishes the concept of a human-centered state grounded in justice, freedom, consultation (shūrā), and human dignity. The research problem arises from the observed disjunction between contemporary political thought and ethical values, which has led to a crisis in modern political knowledge, manifested in the dominance of material interests over human values.

The study aims to identify the Qur'anic principles guiding sound political practice, analyze key political concepts from a Qur'anic perspective (such as authority, justice, freedom, and consultation), and highlight the epistemological value of the Qur'an in developing an alternative humanistic political framework. It also seeks to propose a theoretical model for rationalizing political knowledge in both Islamic and contemporary contexts.

The central research question is: How does the Qur'anic methodology contribute to constructing a sound political knowledge that establishes the jurisprudence of the human-centered state and directs political action toward its ethical objectives?

To address this question, the study adopts an integrative methodological approach combining inductive, analytical, and comparative methods. It examines Qur'anic texts to extract political concepts, analyzes them through contemporary epistemological frameworks, and critically compares them with central notions in Western political thought. Additionally, the study employs a maqāṣid-based approach to understand the relationship between ethics and politics.

The study is expected to produce a comprehensive Qur'anic vision of political knowledge that emphasizes the centrality of the human being as the ultimate purpose of authority, and redefines key concepts such as the state, leadership, justice, and public interest in light of Qur'anic objectives. Furthermore, it aims to enrich Islamic intellectual discourse by offering a new interpretive model of politics based on ethical responsibility and epistemological guidance, thereby opening new horizons for the renewal of Islamic political thought in response to contemporary challenges.

المقدمة

يشهد الفكر السياسي المعاصر تحولات متسارعة أفرزت جملة من الإشكالات المعرفية والقيمية، كان من أبرزها اتساع الفجوة بين الممارسة السياسية والمنظومات الأخلاقية التي يُفترض أن تضبطها، مما أدى إلى اختلالات واضحة في مفاهيم العدالة، والشرعية، والمصلحة العامة.

وقد أسهمت هذه التحولات في ترسيخ نزعة أداتية في التفكير السياسي، تُغلّب الفاعلية والقدرة على تحقيق المصالح الآنية على حساب القيم الإنسانية الكلية، الأمر الذي انعكس سلباً على استقرار المجتمعات وتماسكها، وأثار تساؤلات عميقة حول الحاجة إلى إعادة بناء المعرفة السياسية على أسس أكثر توازناً وإنسانيةً.

وفي هذا السياق، يبرز القرآن الكريم بوصفه مصدراً تأسيسياً للمعرفة، لا يقتصر دوره على التوجيه الوعظي أو التشريعي، بل يمتد ليشكّل إطاراً معرفياً متكاملًا يعيد صياغة العلاقة بين الإنسان والسلطة في ضوء مقاصد الاستخلاف والعدل والكرامة الإنسانية. إذ يقدّم القرآن رؤية شمولية للسياسة تقوم على ربط السلطة بالمسؤولية، وتوجيهها لتحقيق الخير العام، وضبطها بجملة من القيم الحاكمة، بما يجعلها أداةً لتحقيق التوازن بين متطلبات الواقع ومقتضيات الأخلاق. ومن ثمّ، فإن استحضار هذه الرؤية في سياق التحولات المعاصرة يُعدّ مدخلاً مهماً لإعادة ترشيد المعرفة السياسية وبنائها على أسس راشدة.

مشكلة البحث

على الرغم من تعدد النظريات السياسية المعاصرة وتطورها، إلا أن الواقع يكشف عن استمرار أزمات بنيوية في الفكر والممارسة السياسية، تتمثل في ضعف الارتباط بين السلطة والقيم، وتراجع البعد الأخلاقي في توجيه القرار السياسي، وهيمنة الاعتبارات المصلحية الضيقة. وفي المقابل، يقدّم القرآن الكريم تصوراً مغايراً للسياسة يقوم على التكامل بين القيم والممارسة، غير أن هذا التصور لم يُستثمر بالقدر الكافي في بناء إطار معرفي متكامل يمكن توظيفه في معالجة الإشكالات السياسية المعاصرة.

ومن هنا تنبثق إشكالية البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

كيف يمكن بناء معرفة سياسية راشدة في ضوء القرآن الكريم تُسهم في تأصيل مفهوم الدولة الإنسانية، وتعيد توجيه الممارسة السياسية نحو أبعادها الأخلاقية والمعرفية؟

أسئلة البحث

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدد من الأسئلة الفرعية، من أبرزها:

ما طبيعة المعرفة السياسية في القرآن الكريم، وما خصائصها؟

ما الأسس القرآنية التي تقوم عليها السياسة الراشدة؟

كيف يُعيد القرآن بناء العلاقة بين السلطة والإنسان؟

كيف يمكن تأصيل مفهوم "الدولة الإنسانية" في ضوء هذه الرؤية؟

ما مدى قدرة هذا النموذج على معالجة الأزمات السياسية المعاصرة؟

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في مستويين رئيسين:

أولاً: الأهمية العلمية

تجلى الأهمية العلمية لهذا البحث في عدة جوانب هي:

1- الإسهام في تجديد الدراسات القرآنية من خلال ربطها بحقول المعرفة الإنسانية، ولا سيما الفكر السياسي.

2- تقديم معالجة معرفية متكاملة لمفهوم السياسة في ضوء القرآن الكريم، تتجاوز الطرح الجزئي إلى بناء إطار نظري شامل.

3- سدّ فجوة بحثية تتعلق بضعف الدراسات التي تعالج "المعرفة السياسية" من منظور قرآني تأصيلي معاصر.

ثانياً: الأهمية التطبيقية أما في المستوى التطبيقي فتتجلى أهمية البحث من خلال ما يأتي:

1- تقديم نموذج معرفي يمكن الإفادة منه في ترشيد الممارسة السياسية المعاصرة.

2- الإسهام في تعزيز البعد الأخلاقي في السياسات العامة ومؤسسات الدولة.

3- دعم الجهود الرامية إلى تطوير مناهج التعليم العالي في مجالات العلوم السياسية والإنسانية.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف من أبرزها:

1- تأصيل مفهوم المعرفة السياسية في ضوء القرآن الكريم.

2- تحليل الأسس القرآنية التي تقوم عليها السياسة الراشدة.

3- إبراز التكامل بين السياسة والأخلاق في التصور القرآني.

4- بناء إطار نظري لتأصيل مفهوم الدولة الإنسانية.

5- بيان إمكانات توظيف هذا النموذج في معالجة القضايا المعاصرة.

منهج البحث

اما منهجي في هذا البحث فيعتمد البحث على مزيج من المناهج العلمية المتكاملة، وذلك على النحو الآتي:

المنهج التأصيلي: الذي يقوم على أساس استخراج المفاهيم السياسية من النصوص القرآنية، وربطها بمقاصد الشريعة.

المنهج التحليلي: ويقوم هذا المنهج على أساس لتحليل هذه المفاهيم وبيان أبعادها المعرفية والأخلاقية.

المنهج المقارن: اما المنهج المقارن فجاء لمقارنة التصور القرآني بالنظريات السياسية المعاصرة، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف.

الدراسات السابقة

تناولت عدد من الدراسات الفكر السياسي في الإسلام، إلا أنها تباينت في مناهجها وأهدافها؛ فمنها ما ركّز على الجوانب الفقهية التقليدية، مثل كتابات أبو الحسن الماوردي في الأحكام السلطانية، ومنها ما عالج قضايا الدولة والسياسة في إطار معاصر، مثل دراسات يوسف القرضاوي حول فقه الدولة.

كما تناولت دراسات أخرى الأبعاد المقاصدية والمعرفية، مثل أعمال الشاطبي في الموافقات، التي أسهمت في تأسيس رؤية مقاصدية يمكن توظيفها في فهم السياسة.

وفي المقابل، اهتمت الأدبيات الغربية بتحليل السلطة والشرعية من زوايا مختلفة، كما في أعمال Max Weber وJohn Rawls، غير أنها غالباً ما تفصل بين الأخلاق والسياسة أو تعيد تعريف العلاقة بينهما في إطار وضعي.

وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات، إلا أن هناك نقصاً واضحاً في الأبحاث التي تسعى إلى بناء معرفة سياسية قرآنية متكاملة تجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل المعرفي المعاصر، وهو ما يسعى هذا البحث إلى معالجته.

ويتميّز هذا البحث عن غيره من الدراسات في كونه لا يقتصر على عرض المفاهيم، بل يسعى إلى بناء نموذج معرفي متكامل للسياسة في ضوء القرآن الكريم.

ويجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل المعرفي المعاصر، في إطار منهجي متوازن. ثم ينتقل من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي من خلال معالجة القضايا السياسية الراهنة.

المبحث الأول

الأسس القرآنية للسياسة الراشدة

يقوم التصور القرآني للسياسة على منظومة متكاملة من القيم والمبادئ التي تشكّل إطاراً ناظماً للفعل السياسي، بحيث لا تنفصل الممارسة عن البعد الأخلاقي والمعرفي. وعلى خلاف بعض النماذج السياسية المعاصرة التي تميل إلى الطابع الأداتي أو النفعي، يقدّم القرآن الكريم

رؤيةً للسياسة تقوم على تحقيق التوازن بين السلطة والقيم، وبين الكفاءة والعدالة، بما يحقق مقاصد الاستخلاف في الأرض.

وفي هذا السياق، تتأسس السياسة الراشدة في القرآن الكريم على جملة من المبادئ الكلية، من أبرزها: العدل، والشورى، والمسؤولية، والمصلحة، والاستخلاف، وهي مبادئ متداخلة تشكّل في مجموعها إطاراً معرفياً وأخلاقياً متكاملاً.

المطلب الأول

العدل وأثره في بناء الشرعية السياسية

يُعدّ العدل من المفاهيم المركزية في القرآن الكريم، حيث يتجاوز كونه قيمة أخلاقية إلى كونه مبدأً حاكماً للفعل السياسي، ومعياراً لشرعية السلطة. وقد ورد الأمر بالعدل في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾. ***(النحل: 90)***، مما يدل على شموليته واتساع مجاله ***(القرطبي، 1964: ج10، ص45، ابن كثير، د.ت: ج4، ص512).***

ويؤكد المفسرون أن العدل في القرآن يشمل جميع أوجه الحكم والإدارة، بما في ذلك توزيع الحقوق، وإقامة القسط بين الناس، وضبط العلاقات السياسية. ***(ابن كثير، د.ت: ج4، ص512)***. ومن ثمّ، فإن الشرعية السياسية في التصور القرآني لا تُبنى على القوة أو الغلبة، بل على مدى تحقق العدل في الواقع.

وفي المقابل، يُبرز الفكر السياسي المعاصر أهمية العدل كذلك، كما في نظرية العدالة عند Rawls التي تجعل الإنصاف أساسًا للشرعية السياسية ***(Rawls,1971: p.52)***. غير أن التصور القرآني يتميز بربط العدل بالمرجعية القيمية المطلقة، مما يمنحه بعداً أخلاقياً أعمق.

المطلب الثاني

الشورى ودورها في ترشيد القرار السياسي

تمثّل الشورى أحد المبادئ الأساسية التي يقوم عليها النظام السياسي في القرآن الكريم، حيث وردت في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ ***(الشورى:38)***، بما يدل على كونها قاعدة عامة في تدبير الشأن العام. ***(الطبري، 2000: ج22، ص16)***

ولا تقتصر الشورى على كونها إجراءً إدارياً، بل تحمل بعداً معرفياً يتمثل في توسيع دائرة المشاركة في اتخاذ القرار، والاستفادة من الخبرات المتعددة، مما يؤدي إلى قرارات أكثر توازناً. ***(الماوردي، 1989: ص56)***، كما أنها تعد ممارسة في كل جوانب الحياة فهي تمثل مدرسة تستطيع من خلالها تحقيق آراء قوية وصحيحة، كما تعكس الشورى مبدأ احترام الإنسان وحقه في الإسهام في الشأن العام. ***(نامق، 2021: ص 227)***

وفي السياق المعاصر، تتقاطع الشورى مع مفاهيم المشاركة السياسية والديمقراطية، التي تُعدّ من عوامل الاستقرار السياسي ***(Fukuyama, 2014: p.350)***، إلا أن الشورى في التصور القرآني ترتبط بالقيم الأخلاقية، ولا تُختزل في مجرد آلية إجرائية.

المطلب الثالث

المسؤولية والأمانة في ممارسة السلطة

يرتكز التصور القرآني للسلطة على مبدأ المسؤولية، حيث تُعدّ السلطة أمانة يجب أداؤها على الوجه الصحيح، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾. ***(النساء: 58)***. وقد بيّن المفسرون أن هذه الآية تشمل جميع صور المسؤوليات، وعلى رأسها مسؤولية الحكم، ويؤكد العلماء أن الولاية في الإسلام تقوم على أساس الكفاءة والأمانة، وأنها تكليف لا تشريف. ***(القرطبي، 1964: ج5، ص260)***. وهذا يرسّخ مفهوم الرقابة الأخلاقية، التي تنبع من الداخل قبل أن تُفرض من الخارج.

وفي الفكر المعاصر، يرتبط مفهوم المسؤولية بمفاهيم الحوكمة الرشيدة والمساءلة، التي تُعدّ من أسس الإدارة الحديثة. ***(Sen, 1999: p. 64)***، إلا أن التصور القرآني يمنحها بعداً أخلاقياً يتجاوز الإطار القانوني.

المطلب الرابع

المصلحة وضوابطها في التصور القرآني

يُعدّ تحقيق المصلحة من مقاصد الشريعة الأساسية، غير أن القرآن الكريم لا يترك هذا المفهوم مطلقاً، بل يقيّده بضوابط أخلاقية وقيمية تمنع انحرافه.

وقد أسهم علماء المقاصد، وعلى رأسهم الشاطبي، في بيان أن المصلحة الحقيقية هي التي تحقق حفظ الضروريات، ولا تتعارض مع القيم الكلية ***(الشاطبي، 1997: ج2، ص8)***.

وفي المقابل، تميل بعض الاتجاهات السياسية المعاصرة إلى تبني مفهوم نفعي للمصلحة، قد يبرر اتخاذ قرارات تتعارض مع القيم ***(Foucault, 1980: p.120)***. ومن هنا، يتميز التصور القرآني بكونه يوازن بين الواقعية السياسية والضبط الأخلاقي.

المطلب الخامس

الاستخلاف كإطار ناظم للسلطة

يُعدّ مفهوم الاستخلاف من المفاهيم المركزية في القرآن الكريم، حيث يحدّد طبيعة العلاقة بين الإنسان والسلطة، ويمنحها بُعداً غائياً. فقد ورد في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. ***(البقرة: 30)***، بما يدل على أن الإنسان مكلّف بإعمار الأرض وفق منهج إلهي.

ويترتب على هذا المفهوم أن السلطة ليست ملكاً مطلقاً، بل وظيفة مؤقتة تُمارَس في إطار من المسؤولية. ***(ابن خلدون، 2004: ص190)***. كما يربط الاستخلاف بين السياسة والمقاصد العليا، مما يجعلها وسيلة لتحقيق الخير العام.

يتبيّن من خلال ما سبق أن السياسة الراشدة في القرآن الكريم تقوم على منظومة متكاملة من المبادئ، في مقدمتها العدل، والشورى، والمسؤولية، والمصلحة المنضبطة، والاستخلاف. وتمثّل هذه المبادئ إطاراً معرفياً وأخلاقياً يعيد التوازن بين السلطة والقيم، ويؤسس لرؤية سياسية إنسانية راشدة.

كما يظهر أن التصور القرآني يتميز بقدرته على الجمع بين البعد القيمي والبعد العملي، مما يجعله نموذجاً قابلاً للتطبيق في معالجة الإشكالات السياسية المعاصرة، وهو ما يمهّد للانتقال في الفصل التالي إلى تأصيل مفهوم الدولة الإنسانية بوصفه امتداداً تطبيقياً لهذه الأسس.

المبحث الثاني

تأصيل فقه الدولة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم

يمثّل الانتقال من تأصيل المبادئ القرآنية للسياسة إلى بناء تصور متكامل للدولة خطوةً منهجيةً ضرورية، إذ لا يكتمل البناء المعرفي إلا بتحويل القيم إلى أطر مؤسسية قادرة على توجيه الواقع. وفي ظل التحولات التي شهدها مفهوم الدولة في الفكر السياسي الحديث، برزت اتجاهات متعددة أعادت تعريف وظائفها وحدودها، إلا أن كثيراً منها اتسم بتغليب البعد الأداتي أو المؤسسي على حساب البعد القيمي. ***(Fukuyama, 2014: p.333)***.

وفي المقابل، يقدّم القرآن الكريم رؤيةً مغايرة للدولة، تقوم على مركزية الإنسان، وربط السلطة بالقيم، وتوجيهها لتحقيق مقاصد العدل والكرامة. ومن هنا، يهدف هذا المبحث إلى تأصيل مفهوم الدولة الإنسانية في ضوء هذه الرؤية، بوصفه نموذجاً معرفياً يجمع بين الشرعية القيمية والكفاءة المؤسسية.

المطلب الأول

مركزية الإنسان في التصور القرآني للدولة

ينطلق التصور القرآني للدولة من مبدأ تكريم الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. ***(الاسراء70)***، وهو تكريم يشمل جميع أبعاد وجوده، ويجعل منه محوراً للفعل السياسي. ***(ابن كثير، د.ت: ص80)***.

وبناءً على ذلك، فإن الدولة في هذا الإطار لا تُقاس بمدى قدرتها على السيطرة أو الهيمنة، بل بقدرتها على صيانة الكرامة الإنسانية، وضمان الحقوق، وتحقيق العدالة. وهذا ما ينسجم مع بعض الطروحات المعاصرة التي تؤكد على مركزية الإنسان في التنمية، كما في طرح Sen الذي يربط بين الحرية والكرامة والتنمية ***(Sen, 1999: p.87)***.

غير أن التصور القرآني يتميز بكونه يؤسس هذه المركزية على مرجعية قيمية ثابتة، لا على اعتبارات نسبية أو نفعية.

المطلب الثاني

وظيفة الدولة في ضوء المقاصد الشرعية

لا تقتصر وظيفة الدولة في التصور القرآني على حفظ النظام أو إدارة الموارد، بل تتجاوز ذلك إلى تحقيق جملة من المقاصد العليا، التي تتمثل في حفظ الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض. ***(الشاطبي، 1997: ج2، ص10)***.

وتؤكد هذه المقاصد أن الدولة ليست كياناً محايداً، بل فاعلاً أخلاقياً يسعى إلى تحقيق الخير العام. وقد أشار أبو الحسن الماوردي إلى أن من وظائف الدولة إقامة الدين وسياسة الدنيا به، وهو ما يعكس التكامل بين البعدين الديني والسياسي. ***(الماوردي، 1989: ص15)***.

وفي المقابل تميل بعض النظريات الحديثة إلى حصر وظيفة الدولة في الجانب الإداري أو الأمني، مما يؤدي إلى تقليص دورها القيمي ***(Fukuyama, 2014 :p.412)***.

المطلب الثالث

العلاقة بين السلطة والأخلاق

يُعدّ الربط بين السلطة والأخلاق من أبرز ملامح التصور القرآني، حيث لا تُفهم السياسة بمعزل عن القيم، ولا تُمارَس السلطة خارج إطار المسؤولية.

ففي حين تفصل بعض الاتجاهات الفكرية الحديثة بين السياسة والأخلاق، كما في الطروحات الواقعية التي تبرر استخدام القوة لتحقيق المصالح، يؤكد القرآن على أن العدل والأمانة والرحمة تمثل معايير حاكمة للفعل السياسي. ***(القرطبي، 1964: ج10، ص50)***.

وقد أشار عبد الوهاب المسيري إلى أن غياب البعد الأخلاقي في الدولة الحديثة أدى إلى تحوّلها إلى كيان وظيفي يخدم المصالح المادية. ***(المسيري، 2002: ص210)***.

ومن ثمّ فإن فقه الدولة الإنسانية يقوم على إعادة إدماج الأخلاق في بنية السلطة، بوصفها عنصراً تأسيسياً لا تكميلياً.

المطلب الرابع

التوازن بين الكفاءة المؤسسية والشرعية القيمية

من التحديات الكبرى في بناء الدولة المعاصرة تحقيق التوازن بين الكفاءة في الأداء والالتزام بالقيم. وغالباً ما يُطرح هذا التوازن بوصفه معادلة صعبة، حيث يُفترض أن تعزيز أحد الجانبين يكون على حساب الآخر.

غير أن التصور القرآني يقدّم نموذجاً يتجاوز هذا التعارض، من خلال الجمع بين الفاعلية والعدالة، بحيث تُقاس كفاءة الدولة بقدرتها على تحقيق القيم، لا بمجرد تحقيق النتائج. ***(الشاطبي، 1997: ج2، ص12)***.

وفي هذا السياق، يمكن الاستفادة من بعض الطروحات الحديثة التي تؤكد أهمية المؤسسات الفعالة، كما في أعمال Fukuyama، مع إعادة توجيهها في إطار قيمي يضبط أداءها. ***(Fukuyama, 2014: p.412)***.

المطلب الخامس

نحو نموذج معرفي للدولة الإنسانية

انطلاقاً من الأسس السابقة، يمكن بناء نموذج معرفي للدولة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، يقوم على مجموعة من المرتكزات وهي:

1- المرجعية القيمية: استمداد المبادئ الحاكمة من القيم القرآنية.
2- مركزية الإنسان: جعل الكرامة الإنسانية معيارًا للتقويم السياسي.
3- السلطة المسؤولة: ربط السلطة بالمحاسبة والأمانة.
4- تحقيق المقاصد: توجيه السياسات نحو تحقيق العدل والمصلحة العامة.
5- التوازن المؤسسي: الجمع بين الكفاءة والشرعية القيمية.

ويمثّل هذا النموذج محاولة لتقديم إطار تفسيري يمكن من خلاله إعادة قراءة الدولة المعاصرة، وتوجيهها نحو تحقيق أهداف إنسانية شاملة، وهو ما يتقاطع مع بعض الطروحات الحديثة التي تدعو إلى إعادة بناء الدولة على أسس أخلاقية. ***(Rawls, 1971: p. 60)؛ (Sen, 1999: p. 102)***.

غير أن ما يميّز النموذج القرآني هو تكامله، وارتباطه بمرجعية ثابتة، تمنحه قدرة أكبر على الاستمرار والتوازن.

يتضح من خلال هذا المبحث أن مفهوم الدولة في القرآن الكريم يتجاوز البعد المؤسسي إلى بعد قيمي وإنساني شامل، يجعل من الإنسان محوراً للفعل السياسي، ومن الأخلاق ضابطاً للسلطة.

كما يبيّن أن فقه الدولة الإنسانية يقوم على إعادة بناء العلاقة بين السلطة والمجتمع في إطار من المسؤولية والعدل.

ويمثّل هذا التأصيل خطوة أساسية نحو تقديم نموذج معرفي بديل يمكن أن يسهم في معالجة أزمات الدولة المعاصرة، وهو ما يمهّد للانتقال إلى دراسة التطبيقات العملية لهذا النموذج في الواقع المعاصر.

المبحث الثالث

التطبيقات المعاصرة للمعرفة السياسية القرآنية

أفرزت التحولات السياسية المعاصرة جملة من الأزمات البنيوية التي مست جوهر العلاقة بين السلطة والمجتمع، وأعادت طرح إشكالات الشرعية، والعدالة، والثقة، والفعالية المؤسسية. وقد ارتبطت هذه الأزمات – في جانب كبير منها – بانفصال الممارسة السياسية عن مرجعياتها الأخلاقية، وهيمنة المنطق الأداتي الذي يركّز على تحقيق المصالح دون اعتبار كافٍ للقيم. ***(Fukuyama, 2014: p. 26).***

وفي هذا السياق، يقدّم النموذج القرآني للمعرفة السياسية إطاراً تحليلياً وتطبيقياً يمكن من خلاله إعادة قراءة هذه الأزمات، واقتراح مسارات عملية لمعالجتها، من خلال استحضار المبادئ القيمية التي تضبط الفعل السياسي وتوجّهه نحو تحقيق المقاصد الإنسانية.

المطلب الأول

معالجة أزمة الشرعية السياسية

تُعدّ أزمة الشرعية من أبرز الإشكالات التي تواجه الأنظمة السياسية المعاصرة، حيث لم يعد الاعتماد على القوة أو الإجراءات الشكلية كافياً لضمان الاستقرار، بل أصبح تحقيق العدالة الفعلية شرطاً أساسياً للقبول المجتمعي. ***(Fukuyama, 2014: p. 26).***

وفي هذا الإطار، يقدّم التصور القرآني بديلاً يقوم على ربط الشرعية بتحقيق العدل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾، حيث يُعدّ العدل أساساً للحكم ومصدراً لشرعيته. ***(القرطبي، 1964:ج10، ص45).***

وفي التطبيق المعاصر لا بد من إعادة تعريف الشرعية السياسية لتقوم على تحقيق العدالة لا مجرد الإجراءات الشكلية. وربط تقييم أداء الحكومات بمدى تحقيقها لمصالح الناس. مع تحقق تعزيز الثقة من خلال الشفافية والإنصاف في توزيع الموارد.

المطلب الثاني

ترشيد العلاقة بين السلطة والمجتمع

تشهد العلاقة بين السلطة والمجتمع في العديد من الدول توتراً متزايداً نتيجة غياب المشاركة وضعف الشفافية، مما يؤدي إلى تراجع الثقة بالمؤسسات السياسية. ***(Fukuyama, 2014: p. 370).***

ويُقدّم مبدأ الشورى في القرآن الكريم نموذجاً متوازناً يعزّز المشاركة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.، حيث يُعدّ أساساً لبناء علاقة قائمة على التفاعل والتكامل. ***(الطبري، 2000: ج22، ص18).***

وفي التطبيق المعاصر يجب تفعيل آليات المشاركة السياسية في صنع القرار. وإشراك النخب العلمية والمجتمعية في رسم السياسات. بما يؤدي الى تعزيز الشفافية والمساءلة المؤسسية.

المطلب الثالث

دور التعليم العالي في بناء الوعي السياسي الراشد

يُعدّ ضعف الوعي السياسي القيمي من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة، حيث يقتصر التعليم في كثير من الأحيان على نقل المعرفة دون بناء البعد الأخلاقي المرتبط بها. ***(Sen, 1999: p. 293).***

وفي هذا السياق، يوفّر التصور القرآني أساساً لدمج القيم في العملية التعليمية، من خلال ربط المعرفة بالمسؤولية، وتوجيهها نحو خدمة المجتمع. ***(الشاطبي، 1997: ج2، ص20).***

وفي التطبيق المعاصر لابد من إدماج المفاهيم القرآنية (كالعدل، المسؤولية، المصلحة) في المناهج الجامعية. وتطوير مقررات في الأخلاق السياسية. بما يسم في ربط التعليم بالواقع من خلال برامج خدمة المجتمع.

المطلب الرابع

ضبط مفهوم المصلحة في السياسات العامة

يُستخدم مفهوم "المصلحة" في الفكر السياسي المعاصر أحياناً لتبرير قرارات قد تتعارض مع القيم، نتيجة غلبة المنظور النفعي. ***(Foucault, 1980: p. 130).***

أما في التصور القرآني، فإن المصلحة تُضبط بجملة من القيم والمقاصد، بحيث لا يجوز أن تتعارض مع العدالة أو الكرامة الإنسانية. ***(الشاطبي، 1997: ج2، ص15).***

وفي التطبيق المعاصر: يلزم اعتماد معايير أخلاقية في تقييم السياسات العامة. بما يؤدي الى تحقيق التوازن بين الفاعلية والعدالة. وبالتالي منع توظيف مفهوم المصلحة لتبرير الاستبداد أو الإقصاء.

المطلب الخامس

تعزيز البعد الأخلاقي في إدارة الدولة

أظهرت التجارب المعاصرة أن الكفاءة المؤسسية وحدها لا تكفي لتحقيق الاستقرار، ما لم تُدعَم بمنظومة أخلاقية تضبط الأداء السياسي. ***(Sen, 1999: p. 250)***.

وفي التصور القرآني، تُعدّ الأخلاق عنصراً جوهريا في ممارسة السلطة، حيث ترتبط بالقيم مثل الأمانة والعدل والمسؤولية.

أما في التطبيق المعاصر: فإن بناء ثقافة مؤسسية قائمة على النزاهة والشفافية. مع تطوير معايير أخلاقية للقيادات السياسية. سيؤدي بالنتيجة إلى ربط الترقية في المناصب العامة بالكفاءة والنزاهة معا.

يتبيّن من خلال هذا المبحث أن النموذج القرآني للمعرفة السياسية يمتلك قدرة عالية على تفسير الأزمات السياسية المعاصرة، وتقديم حلول عملية لمعالجتها، من خلال إعادة التوازن بين القيم والواقع. كما يظهر أن هذا النموذج لا يقتصر على الجانب النظري، بل يمتد ليقدّم إطاراً تطبيقياً يمكن توظيفه في مجالات متعددة، كإدارة الدولة، والتعليم، وصنع السياسات العامة.

ويمثّل هذا البعد التطبيقي تتويجاً لما تم تأصيله في الفصول السابقة، ويؤكد أن القرآن الكريم ليس مجرد مصدر قيمي، بل هو أيضاً إطار معرفي قادر على توجيه الواقع المعاصر نحو مزيد من الرشاد والاستقرار.

الخاتمة

قدم هذا البحث قيمة علمية مهمة حيث سعى إلى تجاوز الطرح الجزئي أو الوصفي لمفهوم السياسة في القرآن الكريم، إلى بناء نموذج معرفي متكامل للسياسة يقوم على التكامل بين القيم والممارسة.

حتى أنه تميز بمحاولة الجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل المعرفي المعاصر، في إطار منهجي ربط بين النص القرآني وإشكالات الواقع السياسي، وهو ما أسهم في تقديم رؤية تجديدية للفكر السياسي الإسلامي.

وإضافةً إلى ذلك، قدّم البحث تصوراً أولياً لما يمكن تسميته بـ (فقه الدولة الإنسانية)، بوصفه إطاراً نظرياً قابلاً للتطوير، يمكن أن يشكّل أساساً لدراسات مستقبلية تتناول بناء الدولة على أسس قرآنية معاصرة.

وفتح هذا البحث المجال أمام عدد من الدراسات المستقبلية، من أبرزها: دراسة تطبيقية لفقه الدولة الإنسانية في نماذج سياسية معاصرة، وتحليل مقارنة بين التصور القرآني والنظريات السياسية الحديثة بشكل موسّع، وتطوير مناهج تعليمية في العلوم السياسية مستندة إلى القيم القرآنية، ودراسة دور المؤسسات في تفعيل النموذج القرآني في الواقع السياسي

وأكد هذا البحث أن القرآن الكريم لا يقدّم مجرد توجيهات أخلاقية عامة، بل يؤسس لرؤية معرفية متكاملة للسياسة، قادرة على إعادة بناء العلاقة بين الإنسان والسلطة في إطار من العدل والمسؤولية. وإن استحضار هذه الرؤية في السياق المعاصر يمثل خطوة أساسية نحو بناء سياسة إنسانية راشدة، تستجيب لتحديات الواقع وتستند إلى قيم ثابتة.

وقد خلص الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات المهمة في هذا البحث:

نتائج البحث

توصل الباحث إلى جملة من النتائج العلمية، من أبرزها:

1- أن القرآن الكريم يقدّم منظومة معرفية متكاملة للسياسة، لا تقتصر على التوجيه القيمي، بل تمتد لتشكّل إطاراً ناظماً للفعل السياسي قائماً على تحقيق العدل والكرامة الإنسانية.

2- أن السياسة الراشدة في التصور القرآني تقوم على أسس مركزية، في مقدمتها: العدل، والشورى، والمسؤولية، والمصلحة المنضبطة، والاستخلاف، وهي مبادئ متكاملة تُعيد التوازن بين السلطة والقيم.

3- أن مفهوم الدولة في القرآن الكريم يتجاوز البعد المؤسسي إلى بعد إنساني قيمي، يجعل من الإنسان محورا للفعل السياسي، ويعيد تعريف وظيفة الدولة بوصفها أداة لتحقيق المقاصد العليا.

4- أن التصور القرآني يقدّم نموذجاً معرفياً بديلاً للنماذج السياسية المعاصرة، من خلال ربط الشرعية بالعدل، وربط السلطة بالمسؤولية، وتوجيه السياسة نحو تحقيق الخير العام.

5- أن النموذج القرآني يمتلك قدرة تفسيرية وتطبيقية لمعالجة الأزمات السياسية المعاصرة، مثل أزمة الشرعية، وضعف الثقة، وغياب البعد الأخلاقي في الممارسة السياسية (Fukuyama, 2014).

التوصيات

في ضوء ما سبق، يوصي الباحث بما يأتي:

1- ضرورة إدماج الأبعاد القيمية القرآنية في مناهج العلوم السياسية والإنسانية، بما يعزّز بناء وعي سياسي راشد.

2- تشجيع الدراسات البينية التي تربط بين القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، ولا سيما الفكر السياسي، بما يسهم في تجديد المعرفة.

3- تطوير نماذج تطبيقية مستمدة من التصور القرآني يمكن توظيفها في مجالات الحكم الرشيد وإدارة الدولة.

4- تعزيز البعد الأخلاقي في السياسات العامة، وربط تقييم الأداء السياسي بمدى تحقيقه للعدالة والكرامة الإنسانية.

5- دعم مؤسسات التعليم العالي لتكون فاعلاً رئيساً في بناء الوعي السياسي القيمي لدى الطلبة والمجتمع.

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم

أولاً: المراجع العربية

1- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (2004). **المقدمة**، دار الفكر، بيروت.

2- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (د.ت)، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت.

3- الطبري، محمد بن جرير، (2000)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار هجر، القاهرة.

4- القرطبي، محمد بن أحمد، (1964)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة.

5- الماوردي، علي بن محمد، (1989)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- القرضاوي، يوسف، (1997)، **من فقه الدولة في الإسلام**، دار الشروق، القاهرة.

7- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (1997)، **الموافقات في أصول الشريعة**، دار المعرفة، بيروت.

8- المسيري، عبد الوهاب، (2002)، **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**. دار الشروق، القاهرة.

9- نامق، صلاح الدين، (2021)، **المنهج النبوي في الاستشارة من خلال السيرة النبوية**، مجلة العلوم الإسلامية جامعة تكريت، (2) 12.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1- Foucault, M, (1980), **Power/Knowledge**, Selected Interviews and Other Writings, 1972–1977, **New York**, Pantheon Books.

2-Fukuyama, F, (2014), **Political Order and Political Decay**, From the Industrial Revolution to the Globalization of Democracy, New York, Farrar, Straus and Giroux.

3-Rawls, J, (1971), **A Theory of Justice**, Cambridge, MA, Harvard University Press.

4-Sen, A, (1999), **Development as Freedom**, New York, Alfred A, Knopf.

5-Weber, M, (1946), **Politics as a Vocation**, New York, Oxford University Press.